مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(07)، العدد (02)، (ديسمبر-2022)، ص 173-192
ISSN:2602-5566 EISSN:2716-8999

التركيبة الاجتماعية لمدينة الاسكندرية في مصر اليونانية 305 – 30 ق.م

The structure of the Alexandrian society in Greek Egypt 305 - 30 BC

مريقي بوبكر*[1]

[1] جامعة عمار ثليجي - الأغواط (الجزائر)، b.merigui@lagh-univ.dz

تاريخ الإرسال:2022/01/24 **تاريخ القبول:2022/11/27**

ملخص:

عرفت مصر في العصر اليوناني الأجانب من شتى الجنسيات، لأن الحكام في هذا العصر كانوا من العنصر المقدوني اليوناني، واعتمدوا في بناء دولتهم على جلب أعداد كبيرة من الإغريق ومجموعات من اليهود والسوريين والفينيقيين والليبيين والفرس، ونظرا لتعدد الفئات الموجودة في مصر اليونانية، فإن ما يعنينا منها في دراستنا هذه ثلاث فئات، بحكم أغلبيتها، وهم (المصريون والإغريق واليهود).

ويحاول هذا البحث أن يسلط الضوء على محاولة الموازنة التي طبقها البطالة على النظم الاجتماعية التي عرفتها مدينة الإسكندرية بحكم أن العناصر الأجنبية تجمعت فيها دون سواها من مدن مصر الأخرى، والنتائج التي ترتبت عليها ومدى تقبل المصريين لهذه السياسة، ومن جهة أخرى يحاول هذا البحث أن يصل إلى نتائج حول العلاقات بين المصريين والعناصر الأخرى التي وفدت إلى البلاد وخاصة عنصر الإغريق، وفي إطار المعالجة المراد القيام بها للعناصر الآنفة الذكر يتبادر إلينا الاشكال الآتي: إلى أي مدى تمكن اليونانيون من التحكم في العناصر البشرية المختلفة التي جمعتها عاصمة ملكهم مدينة الإسكندرية؟

كلمات مفتاحية: مجتمع؛ الاسكندرية، مصر اليونانية؛ البطالمة.

Abstract :

Egypt knew foreigners of various nationalities in Ptolemaic period, because the rulers in this era were of the Greek Macedonian element, and they relied in building their state on bringing in large numbers of Greeks and groups of The Jews, the Syrians, the Phoenicians, the Libyans and the Persians, what concerns us in this study are three categories, by virtue of their majority, and they are (Egyptians, Greeks and Jews).

This research attempts to shed light on the attempt to balance that unemployment applied to the social systems that the city of Alexandria knew, by virtue of the fact that foreign elements gathered in it only from other cities of Egypt, this research tries to reach To conclusions about the relations between the Egyptians and the other elements that came to the country, and within the framework of the treatment to be carried out on the aforementioned elements, the following forms come to us:To what extent were the Greeks able to control the various human elements collected by the capital of their king, the city of Alexandria?

Keywords: Community; Alexandria; Greek Egypt; Ptolemies.

* المؤلف المرسل.

- **مقدمة:**

في البداية يجدر بنا أن نشير إلى أن مصر اليونانية مرت بمرحلتين أساسيتين خلال الفترة التي سيطر فيها اليونانيون - في مرحلة ما بعد الاسكندر المقدوني - على مصر، والتي دامت قرابة الثلاثة قرون، حيث تبدأ المرحلة الأولى من انفراد بطليموس الأول (305 – 285 ق.م) بحكم البلاد، حيث عرفت هذه المرحلة فترة الازدهار والقوة، والتي امتدت إلى غاية 217 ق.م أين كانت موقعة رفح التي يعتبرها المؤرخون نقطة تحول تاريخية في حياة هذه الدولة، وامتدت المرحلة الثانية إلى غاية سقوط الدولة على أيدي الرومان في عهد الملكة كليوبترا السابعة سنة 30 ق.م.

أما عن التركيبة الاجتماعية التي عرفتها مصر في هذا العصر، فقد عرفت إلى جانب المصريين أصحاب الأرض مجموعة متعددة من الأجانب في مقدمتهم الإغريق و يليهم كل من اليهود و عناصر بشرية أخرى بنسب قليلة، غير أنه ولسوء الحظ ليس لدينا إحصائيات نوعية عن كل عنصر من هذه العناصر، وكل ما لدينا هو رقم إجمالي عن عدد سكان مصر، عدا أهل الإسكندرية الذين لهم سجل خاص بهم، وهو سبعة ملايين ونصف مليون، و يمكن الوثوق في هذا الرقم إلى حد ما نظرا لأن الإدارة اليونانية كانت تسجل المواليد والوفيات بانتظام نظرا لارتباط ذلك بالضرائب التي كانت تجبى عن عدد الأفراد، كل هذه المعطيات تقودنا إلى التساؤل الآتي:

إلى أي مدى تمكن اليونانيون من التحكم في العناصر البشرية المختلفة التي جمعتها عاصمة ملكهم مدينة الإسكندرية؟

01 . الإغـريق:

لقد كان هدف البطالمة هو إقامة دولة تستند على أسس شرقية، مع إضفاء الصبغة الإغريقية عليها، وإن كان البطالمة قد حرصوا على الظهور أمام رعاياهم من المصريين بمظهر الحكام الوطنيين، فإنهم في نفس الوقت كانوا حريصين على الاعتزاز بأصلهم الإغريقي، والاحتفاظ بعلاقات قوية مع بلاد اليونان، لأنهم كانوا بحاجة للاستعانة بالإغريق في إقامة دولتهم في المجالين الفكري والسياسي (فرح، 2004، صفحة 97).

ونحن لا نعرف تفاصيل سياسة البطالمة لاستقطاب مهاجرين من اليونان، فبالإضافة إلى الحامية والجالية التي كان قد تركها الإسكندر من قبل، والإغريق المستقرين في مصر قبل مجيئه، فلا بد من أن يكون بطليموس الأول قد أحضر معه قوة عسكرية عندما عين حاكما على مصر أيضا، ولكن رغم ذلك، فإن هذه الأعداد لم تكن كافية لسد حاجات إنشاء الدولة الجديدة (أبوبكر، 1997، الصفحات 178- 179)، ومن أجل تشجيع وتنظيم مزيد من الهجرة إلى مصر، اتبع بطليموس الأول سياسة منح الجنود قطعا من الأرض تسمى (Clero)، ولهذا كانت انتصارات

بطليموس الحربية تجلب له عددا من الجنود الإغريق (العبادي، العصر الهلينستي، 1981، صفحة 31).

ولما كان العالم إغريقي الصبغة في ذلك الوقت، فإن بطليموس الأول الذي كان يريد أن يكسب المكانة الأولى في هذا العالم، وأنه لا يستطيع أن يبني لنفسه مجدا شامخا في نظر ذلك العالم بوصفه فرعون مصر، مهما أنفق في بلاد الإغريق من أموال، ولذلك كان لزاما عليه أن يكون مظهر مصر إغريقيا، وأن تبرز للعالم بوصفها دولة إغريقية لا دولة شرقية (Rostovtzeff.M, 1941, pp. 264- 265)، ولذلك فإنه اتبع سياستين متناقضتين في مصر: الأولى: منذ توليه على مصر عام 323 ق.م، حيث عمل على المساواة في المعاملة بين المصريين والإغريق تمهيدا للمزج بينهما وبين حضارتيهما، ولذلك فإنه سكن منف واتخذها عاصمة له وأقام فيها قبر الإسكندر وأظهر احترامه للديانة المصرية، والثانية: من حوالي عام 311 ق.م وإلى غاية وفاته، حيث هجر بطليموس منف إلى الإسكندرية، ونقل رفات الإسكندر معه، فانتهج سياسة التعسف في معاملة المصريين، واحتضان الإغريق وإشراكهم في السيطرة على المصريين، وقد تبعه ابنه وحفيده في ذلك (نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، 1984، الصفحات 108- 109).

وقد كان من مظاهر عطف البطالمة الأوائل على الإغريق هو سعيهم لتهيئة البيئة المناسبة لمعيشتهم، ولذلك فإنهم عملوا على استكمال بناء الإسكندرية وتجميلها بمظاهر الحياة الشبيهة بالمدن الإغريقية، حتى غدت أعظم مدن العالم الهلينستي في حوض المتوسط (حسين ع.، 1991، صفحة 270)، وقد حملت الجاليات الإغريقية التي كانت تتشكل غالبية سكان مدينة الإسكندرية صفة السكندريين، بمعنى أن أفرادها كانوا يتمتعون بحقوق المواطنة الكاملة في كافة المجالات (يحيى، 2004، صفحة 125)، ونجد كذلك مدينة بطوليميس التي أسسها بطليموس الأول بالقرب من مدينة طيبة، ووفر لها سبل الحياة الإغريقية هذا إلى جانب نقراطيس، تلك المدينة الإغريقية التي استمرت بما ألفته من نظم الحياة الإغريقية وأساليبها ولعل اكتفاء البطالمة بهذا العدد القليل من المدن الإغريقية يعود لسببين: الأول يهدف إلى تفادي خروج هذه المدن عن سيطرتهم. والثاني رغبتهم في نشر الحضارة الإغريقية عن طريق تواجد الإغريق في جميع أنحاء مصر (حسين ع.، 1991، صفحة 270).

وقد كانت العضوية في المدن اليونانية في مصر مقتصرة على الطبقات الممتازة من الإغريق، محاولين بذلك الحفاظ على العنصر الإغريقي نقيا، دون أن يختلط بالأهالي المصريين، الأمر الذي دفعهم إلى سن قوانين تمنعهم من التزاوج مع المصريين (العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، 1985، الصفحات 110- 111)، و مراعاة لشعور الإغريق، فقد سمحوا للذين كانوا يعيشون منهم خارج المدن الإغريقية بأن يؤلفوا جماعات كانت أهمها على الرغم من ندرة معلوماتنا

عنها، تلك الجماعات القومية "البوليتيوما"، والتي لم تكن مقتصرة على الإغريق وحدهم، فنحن نعرف جماعات شبيهة بهم من اليهود والفرس والتراقيين وغيرهم (Rostovtzeff.M, 1941, p. 324).

و البوليتيوما هيئة مستقلة ذات تنظيم خاص يغلب عليه الطابع العسكري، حيث تضم كل بوليتيوما مجموعة الجنود المرتزقة المنحدرين من موطن واحد، بحيث يمكن تنظيمهم وقت السلم حين ينتشرون في الريف ويستقرون في مزارعهم، ليسهل حصرهم واستدعاؤهم بسرعة عند الحاجة (العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، 1985)، وقد أشار المؤرخ تارن إلى هذه الجماعات والنقابات بقوله (و.و.تارن، 1966، صفحة 213):"...أسس المرتزقة أندية عديدة منها ما هو محلي، كنوادي المرتزقة في قبرص، وهناك أخرى تقوم على أساس سلالي تسمي نفسها جاليات، كأنما هم جزء من الدولة، نعرف منها جاليات الكريتيين و الأدوماتيين و القليقيين وغيرهم".

وقد كانت تلي جماعات الإغريق القومية هذه في الأهمية، جماعات رجال الجومنازيوم، وهو معهد إغريقي يوجد حيث يوجد الإغريق في المدن أو في القرى، ونظرا لاعتماد الجمعيات القومية على الإغريق في المدن وفي الجيش والجنود المستقرين في أنحاء البلاد، فقد كانت الجومنازيا معاقل حصينة للحضارة الإغريقية، يستطيع الإغريق في رحابها أن يتلقوا ثقافتهم، ويمارسوا تدريباتهم، ويقيموا شعائر عبادتهم، ويبدو أن العطف الذي أسبغه البطالمة على الجومنازيا وجماعاتها، كان رغبة منهم في مساعدة نزلاء مصر من الإغريق على استمرار حياتهم المعتادة، و الاحتفاظ بطابعهم الإغريقي (Rostovtzeff.M, 1941, pp. 1059- 1060).

وإذا ما أردنا أن نلقي نظرة على التركيبة الاجتماعية للإغريق في مصر اليونانية، فإننا نجدها تنقسم إلى ثلاث طبقات وهي:

أولا: طبقة الموظفين: وتشمل الموظفين المدنيين والعسكريين، والتي يمكن تقسيمها هي الأخرى إلى ثلاث فئات، كان أعلاها قدرا فئة الوزراء والقواد وكبار ا لحاشية المدنية والعسكرية، ثم تليها فئة حكام الأقاليم والضباط، ونجد في آخر الترتيب فئة المشرفين على صغار الموظفين.

ثانيا: طبقة أرباب المهن الفنية: وقد كان أفرادها كثيري العدد، ويتفاوتون في المكانة الاجتماعية والحالة المادية.

ثالثا: طبقة رجال الأعمال: وهم فئة كبيرة من الملتزمين والضامنين، وكانوا يمتلكون أراض وعقارات.

ويبدو أن الإغريق كانوا يسيؤون معاملة كل من لم يكونوا إغريقا أو مصطبغين بصبغة إغريقية من سكان مصر، إذ أننا نجد رجلا في خدمة زينون بفيلادلفيا يشكو من سوء المعاملة لأنه ليس إغريقيا، وليس في وسعه التحدث بالإغريقية (Rostovtzeff.M, 1941, p. 1644)، والأمثلة على نظرة الاحتقار التي ميزت الإغريق تجاه المصريين كثيرة، فقد جاء في وثيقة بردية ترجع إلى حكم

بطليموس الثالث (246 – 222 ق.م)، وهي عبارة عن شكوى مقدمة من طرف كاهن مصري ضد إغريقي، أرغمه على إسكانه في بيته جاء فيها ما يلي:"...إنه يحتقرني لأنني مصري..." وإذا كانت هذه المعاملة مع فرد من أفراد الطبقة الممتازة من المصريين فكيف تُتصور معاملتهم لعامة أفراد الشعب (حسين م.، 1947، صفحة 224).

وقد كانت هذه هي السمة الغالبة في العلاقات الاجتماعية بين المصريين والإغريق، وكان من الطبيعي ألا يحدث امتزاج اجتماعي بينهما، وبالتالي من البديهي ألا نتصور إغريقيا متزوجا من مصرية، وهو ينظر إليها ولأهلها نظرة دونية، غير أن بعض المؤرخين من يعتقد أن التزاوج قد تم بين الإغريق والمصريات لأن أغلب الإغريق قدموا إلى مصر للعمل في الجيش وكان عددهم يتجاوز كثيرا عدد النساء الإغريقيات اللائي وجدن بمصر، ومن ثم فقد اضطروا إلى البحث عن المرأة المصرية (Bevan.Edwyn, 1927, p. 86)، بيد أن نصحي يرفض هذا الرأي معللا ذلك بأنه ليس لدينا ما يثبت صحته، كما أنه لا يمكن الجزم بأن أغلب الأجانب الوافدين على مصر كانوا جنودا، فعلى الرغم من أن الجنود كان أغلبهم إغريقا إلا أنه ليس هنالك ما يؤكد بأن عدد الرجال كانوا أكثر من عدد النساء في صفوف الإغريق، وإذا كنا نعرف أن المصريين القدماء كانوا لا يسمحون بالتزاوج إلا في نطاق أسرهم، فإننا نستبعد قبولهم تزويج بناتهم لأزواج غرباء عن جنسهم (نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، 1984، صفحة 129).

أما عن حال الحضارة الإغريقية في مصر اليونانية دائما، فمما لا شك فيه أن أهم دعامة لها، كانت المدارس والمعاهد الإغريقية، فهي التي كانت تفتح لهم آفاق الفكر الإغريقي، ويكفينا للتدليل على الدور الذي لعبه التعليم في حياة الحضارة الإغريقية، تلك النتائج الباهرة التي تمخضت عنه، وإذا كانت الحضارة الإغريقية في مصر قد استمرت حتى العهد الروماني، فإنها بلغت أوج مجدها في عصر البطالمة ولا سيما في عهد أوائلهم، وقد احتل التعليم مكان الصدارة بين كل ما يعني إغريق مصر (على، 1996، صفحة 325).

ورغم محدودية معلوماتنا عن التعليم في مصر اليونانية، فإننا نستطيع أن نستخلص منها على الأقل أن التعليم كان على ثلاث مراحل، وأنه لم يكن إجباريا ولا مجانيا، ويبدو أن الأسر المتوسطة الحال كانت ترسل أبناءها لتلقي مبادئ العلم مدة تطول أو تقصر تبعا لحالتها الاجتماعية في المدارس الخاصة، وأما الأغنياء فكانوا عادة يعلمون أبناءهم هذه المبادئ في بيوتهم على أيدي مدرسين يتكفلون بتسديد أجورهم(Rostovtzeff.M, 1941, pp. 1058- 1060) ، ثم يتابعون تحصيل العلوم في الجومنازيا، وكانوا يتلقون في هذه المعاهد الثقافة العلمية والتربية البدنية الإغريقية، وبعد انتهاء هذه المرحلة كان عدد قليل من الشبان المحظوظين هم الذين يتمكنون من متابعة دراستهم على أيدي كبار الأساتذة إما في الإسكندرية وإما في إحدى المدن الكبيرة مثل أوكسورونخوس (Collartr.p, 1936, p. 494)،وكل ما لدينا من المعلومات الخاصة بالمرحلة الأولى

للتعليم . حسب قول تارن . أنه لم يكن من الشؤون التي تقوم بها الدولة، ولدينا اليوم من ذلك العصر عدد وافر من الكتب والكراسات المدرسية تتناول مواضيعها القراءة والكتابة وقواعد اللغة والحساب، فضلا عن الشعر وبخاصة شعر هوميروس (و.و.تارن، 1966، صفحة 2014).

ويبدو أن الوضع الاجتماعي للمعلمين كان متواضعا، إذ كانوا يعتمدون في معيشتهم على ما يتلقونه من أولياء التلاميذ كل شهر، ولم يكن هؤلاء المدرسون مختصين في مهنتهم، حيث توجد معاهد خاصة لتخريجهم في كل أنحاء العالم الهيلينستي، وقد كان أهم ما يُعنى به المدرسون هو تنمية ذاكرة التلاميذ، فكانوا يهدفون قبل كل شيء إلى ترسيخ أسماء حروف الهجاء، وتمرينهم على الإملاء وقراءة الآداب الإغريقية مع الشرح والتفسير والتعليق (Collartr.p, 1936, p. 497).

أما التعليم الثانوي فقد كان يتناول دراسة انتاج كثير من المؤلفين بالمطالعة والتحليل، بالإضافة إلى دراسة الرياضيات للاستفادة منها في عملية مسح الأراضي، والقيام بإنجاز المعادلات والموازنات المعقدة بين التقويمين المصري والإغريقي (و.و.تارن، 1966: 2015)، أما عن المرحلة الثالثة من مراحل التعليم لدى الإغريق في مصر اليونانية وهي مرحلة التعليم العالي الإغريقي فقد خصص لها دار العلم والمكتبة في الإسكندرية.

ولا جدال في أن المدارس الإغريقية على اختلاف أنواعها ساعدت أيضا على بقاء جذور الحضارة الإغريقية منتشرة في كل أنحاء مصر، ويقول تارن في ذلك (و.و.تارن، 1966، صفحة 2016):"... وإلى جانب الثروات التي كان اليونانيون يعملون على جمعها في أرض مصر، فإنهم كانوا ينقلون إليها أسلوب حياتهم بقدر ما يستطيعون، وظلوا قرنا كاملا يتحفظون في اختلاطهم بالمصريين، فكانوا يجلبون معهم آلهتهم، ويقرؤن هوميروس ويوربيديس، وينشئون ما لا حصر لعدده من الأندية...".

02 . المصريون:

02 - 01 . حالهم و حضارتهم:

لقد كان المصريون بطبيعة الحال يشكلون أغلبية المجتمع وعماده، وكما كانوا رعايا فرعون من قبل، أصبحوا فيما بعد رعايا الملك البطلمي، وكان تنظيمهم الأساسي حسب حرفهم وأعمالهم كما كانوا في العصر الفرعوني، وكانت تأتي في مقدمة هذه الطبقات الأرستقراطية بشقيها الديني والدنيوي، وكانت هذه الأرستقراطية تتمتع بنفوذ كبير جدا في البلاد، وتمتلك مساحات واسعة من الأراضي، وينتمي إليها الفراعنة الوطنيون، وقد حرص بطليموس الأول على عدم المساس بها، حرصا منه على استتاب أحوال البلاد في شطر حكمه الأول، غير أننا لا نسمع شيئا عن هذه الأرستقراطية بعد عهد بطليموس الأول، ويرى بعض المؤرخين أن بطليموس الثاني (284 – 246 ق.م) والثالث قد قضيا عليها (نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، 1984، صفحة 149).

ولا ريب في أنه بعد تراجع الأرستقراطية الدينية، وإزاء المنح التي اضطر البطالمة الأواخر إلى إعطاءها للكهنة المصريين، أصبحت طبقة الكهنة المصريين أهم الطبقات المصرية، حتى أن أحد المؤرخين يذهب إلى حد القول بأن الأرستقراطية المصرية في عهد البطالمة لم تتألف إلا من الكهنة (Bevan.Edwyn, 1927, p. 89)، وعلى العموم فقد ظل الكهنة في مصر اليونانية يشكلون طبقة متميزة، فكانوا يشكلون أهم العناصر الوطنية، وكانت معابدهم معاقل للوطنية المتأججة ضد الحكم الأجنبي (علي، مصر البطلمية، 1980، صفحة 19). وكانت تلي هذه الطبقة قبل عصر البطالمة طبقة موظفي الحكومة، التي تتألف من موظفين متفاوتي الدرجات، ويبدو أن فئتهم العليا قد اختفت تدريجيا، ولم يبق في خدمة الحكومة سوى الموظفين الصغار الذين اضطروا إلى تعلم اللغة الإغريقية (Rostovtzeff.M, 1941, p. 266)، و نجد أدنى الطبقات التي ذكرنا الفئة المنتجة من زراع وصناع وتجار، وكانوا يعدون بالملايين، ويعيشون في آلاف القرى والمدن المصرية، حيث تقع على عاتقهم أشق الأعمال وأصعبها وأحقرها أحيانا، وعليهم أكثر الضرائب، والتزامات السخرة، وتبعا لذلك فهم أكثر من غيرهم تأثرا بذلك النظام المالي والاقتصادي الذي وضعه البطالمة للبلاد (نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، 1984، الصفحات 154- 155).

ومن الواضح أن أفراد كل مهنة أو نشاط كانوا منظمين تنظيما دقيقا، فالغالبية من الفلاحين والصناع كانوا يعملون في أرض الملك ومصانعه، ولذلك كانوا يحصون باستمرار قصد تسخيرهم في خدمات جبرية مثل العمل في إنشاء الجسور وفي القنوات والخدمة في المناجم والمحاجر من وقت لآخر، وبالرغم من أن هذه الأعمال الجبرية لم تكن دون أجر، إلا أنه كان أجرا زهيدا، كما أنه كان محظورا عليهم مغادرة عملهم خلال موسم العمل (نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، 1984، صفحة 156).

إلا أن هناك من المؤرخين من ينظر من زاوية أخرى، مثل الأستاذ عواد حسين الذي يعبر عن حال مختلف طبقات المصريين في عصر البطالمة بقوله (حسين م.، 1947، صفحة 234):"إنه ليس من العسير أن نتصور مبلغ شقاء المصريين في ظل حكم البطالمة الأول، فقد كانوا لا يخضعون لأسرة حاكمة أجنبية فحسب، بل لجنس غريب بأسره، تغلغل في حياة البلاد، فلم تنج طبقة واحدة من طبقات هذا الشعب من استبداد هؤلاء الملوك، وأعوانهم الإغريق، ولقد قضي على الأرستقراطية الدنيوية، وأذل أفراد الأرستقراطية الدينية، وأوذي المحاربون المصريون في كرامتهم، وقصرت المناصب الإدارية على الأجانب، هذا إلى أن جموع الأهالي قد أثقل كاهلهم بالضرائب الفادحة ...".

وعلى الرغم مما سبقت الإشارة إليه عن أوضاع المصريين، فإن هناك دلائل تشير إلى أن المصريين انتظموا في جمعيات على ثلاثة أنواع هي الجمعيات الدينية المهتمة بحياة المصريين والجمعيات الدينية المهتمة بشؤون المعابد وجمعيات أرباب الحرف والمهن المختلفة، وقد اتخذت

هذه الجمعيات المصرية بالتدريج بعض مظاهر الجمعيات الإغريقية نتيجة اختلاطهم بالإغريق، وكذلك ازدادت عندئذ أهمية المذاهب المصرية في حياة الإغريق، وتبعا لذلك فإنه كان طبيعيا أن تتأثر جمعيات المصريين وجمعيات الإغريق ببعضها البعض (Rostovtzeff.M, 1941).

أما عن حال التعليم عند المصريين زمن البطالمة، فإنه و إن كانت الغالبية العظمى من المصريين لم تقبل على التعليم في أزهى عصور حكامها الوطنيين فإنه من المستبعد أنها وجهت أية عناية تذكر إلى التعليم عندما كانت فريسة للفاقة والبؤس في عصر حكم الأجانب، أمثال البطالمة وأعوانهم الإغريق(عبد العزيز صالح، 1999: 223 - 224)، غير أن حاجة البطالمة المستمرة إلى عناصر جديدة من الكهنة ومحرري العقود ومن محترفي الاشتغال برسم أو نقش المناظر الدينية، ومن ناحية أخرى كان البطالمة أنفسهم يدركون ضرورة وجود عدد كاف من رجال الدين لإقامة الشعائر الدينية في وطن شديد الاعتزاز بديانته، ولذا فإنهم أولوا اهتمامهم بتعليم الأقلية في مرحلتي التعليم الأولى و الوسطى، بينما أوصدت مدارس المعابد أبوابها دون لغة الإغريق وثقافتهم، لأنها كانت تعتبر المعاقل الحصينة للثقافة المصرية (الحفيظ، 1999، صفحة 79).

ومن المعلوم أن اللغة الإغريقية أصبحت في عهد البطالمة اللغة الرسمية في البلاد، ومع ذلك فإن الكتابتين الهيروغليفية و الديموطيقية بقيتا مستعملتين عندئذ لا على جدران المعابد والمقابر فحسب، بل كذلك في اللوائح والقوانين، وفي هذا أبلغ دلالة على أمرين هما: أنه كانت توجد طوال عصر البطالمة مدارس أولية مصرية لسد حاجة الراغبين في العلم، أو لمزاولة المهن الحرة، أو لتولي الوظائف الحكومية الصغرى، والأمر الثاني هو أن الغالبية العظمى من المصريين كانوا لا يعرفون اللغة الإغريقية (نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، 1984، الصفحات 171- 172).

ولما كانت الغالبية العظمى من المصريين أميين، وكانت طبقة المتأغرقين قليلة العدد، وكان حظ صغار الموظفين من الثقافة الإغريقية قليلا فإننا نستطيع أن ندرك أن تغلغل الثقافة الإغريقية بين المصريين كان محدودا (العبادي، العصر الهلينستي، 1981، صفحة 116)، وعلى الرغم من ذلك كله، فإن المصريين بوجه عام كانت لهم عادات ثابتة تقوم على أسس حضارة وديانة ترجعان، إلى أقدم العصور، بقوا مخلصين لها في غالبيتهم عدا نفر منهم اصطبغوا في تعليمهم وملبسهم بصبغة إغريقية، لم تكن أكثر من طلاء خارجي لم يمس جوهرهم، وأما الأغلبية الساحقة فإنها بعيدة حتى عن مظاهر الحضارة الإغريقية (Bowman, 1983, p. 122).

02 - 02 . ثوراتهم:

إن المصريين الذين رحبوا بقدوم الإسكندر، لم يكونوا يتوقعون في عهد خلفائه البطالمة أن يعاملوا على أساس أنهم شعب ذليل مقهور، وكان شعورهم بتلك المذلة والمنزلة الدنيا قد تأكد لديهم بما كانوا عليه من عدم المساواة من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية، فقد كانوا هم الأداة المنفذة، والطبقة الكادحة، واليد العاملة، ويقابلها من الناحية الأخرى طبقة بيدها السلطة

الإدارية، ولها هيمنة ونفوذ، فلا عجب في أن يقابل المصريون الذين تملكهم هذا الشعور ما يعدونه من قبيل احتقار اليونانيين لشأنهم بالعدوان والنفور، ولكن لم يحدث في وقت ما أن كان هناك عصيان بين الوطنيين المصريين ضد حكامهم المقدونيين (بل، 1988، الصفحات 55- 56)، ووسط هذه الظروف كان من اليسير أن يندلع لهيب الثورة لأي سبب من الأسباب، فقد امتلأت النفوس غضبا وحقدا، وتوفر جيش الثورة من ملايين الزراع والصناع والعمال، الذين لم ينقصهم إلا القادة، ولذلك فإن حركة الاحتجاجات والاضطرابات التي شهدتها مصر اليونانية بدأت في عهد بطليموس الثاني، وعلى الرغم من أنها لم تتخذ طابع الثورة في عهده، فإنها لم تنقطع في عهد خلفائه بل ازدادت عنفا وشدة (Rostovtzeff.M, 1941, p. 411).

ويذكر المؤرخون أنه في السنة الأولى من حكم الملك بطليموس الثالث، نشبت أول ثورة قومية عارمة في مصر، وذلك بسبب الأضرار التي لحقت بمعظم طوائف الشعب، جراء صرامة النظام المالي و الاقتصادي، ولسوء الحظ فإننا لا نعرف عن هذه الثورة إلا القدر القليل فلسنا نعرف مدى انتشارها في البلاد، ولا مدى استعارها، ويبدو أنه ساعد على قيام هذه الثورة أمران: أولهما غياب قوات الملك في سوريا، عندما كان يقدم المساعدة لأخته أوديسيا وابنها ملك سوريا، والثاني وهو تلك المجاعة التي يذكر أنها ترتبت عن نقص منسوب الفيضان فسارع الملك إلى العودة إلى البلاد دون إتمام فتوحاته للعمل على تحسين أوضاع الشعب (حسن، 2000، صفحة 630).

ومما يجمع عليه المؤرخون أن سياسة البطالمة اتخذت منحى آخر منذ عهد بطليموس الرابع (221 – 204 ق.م)، و اتبع ملوك العهد المتأخر سياسة جديدة في معاملة المصريين، ويذكر روستوفتزف في ذلك بأن البطالمة استبدلوا سياسة السيطرة على أهالي البلاد بسياسة إشراكهم في الحكم (Rostovtzeff.M, 1941, p. 706)، غير أننا نجد اختلافا بين المؤرخين في تحديد بعض المصطلحات، فهم يتفقون في استبدال البطالمة لسياستهم منذ رابعهم، لكنهم يختلفون في تفسيرهم للسياسة الجديدة، ومن ذلك مثلا نجد كلا من عواد حسين ونصحي يذهبان إلى القول بأن هناك شيئا من الإسراف في هذا الرأي، فلم يحدث أن اشترك المصريون مع البطالمة الأواخر اشتراكا فعليا في الحكم، وتعاونوا معهم في إدارة البلاد كما اشترك وتعاون معهم الإغريق (حسين م.، 1947، صفحة 224).

إن كل ما يمكن أن توصف به سياسة البطالمة نحو المصريين بعد هذه الفترة على حد قول نصحي هو أنها كانت سياسة مشربة بروح العطف لا أكثر و لا أقل (نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، 1984، صفحة 184)، فقد عمل الملك بطليموس الرابع على تجنيد عدد هائل من المصريين لأول مرة في الجيش البطلمي، وذلك قصد مواجهة خطر السلوقيين المحدق بهم، وتم له النصر في موقعة رفح في 22 جوان 217 ق.م بفضل شجاعة الفيلق المصري وقوته، ولذا فإن

المؤرخين يعتقدون بأن معركة رفح كانت نقطة تحول في تاريخ دولة البطالمة (الناصري، 2001، صفحة 173).

والملاحظ أنه عندما عاد الجنود المصريون من سوريا فرحين بنصرهم الذي أحرزوه في رفح، وأخذوا يباشرون حياتهم العادية، ازداد إحساسهم بالألم من مركزهم الوضيع بالنسبة للأجانب، وأحسوا بالظلم من الأعباء التي كان البطالمة يفرضونها عليهم من خلال فرض النظام المالي والاقتصادي المجحف، فلا عجب إذن أن رجال الدين المخلصين انتهزوا كل هذه الظروف واستنفروا وطنية المصريين ومشاعرهم الدينية، فهبوا ثائرين على الطغاة ومن سايرهم من المصريين أنفسهم (Rostovtzeff.M, 1941, p. 709).

وقد اندلعت الثورة في مصر الوسطى والدلتا في العام السادس عشر من حكم بطليموس الرابع، وذلك ما أكدته لنا نقوش معبد إدفو التي أشارت إلى أن الثوار كانوا يختبؤون في المعبد، وقد كان أهم عامل ساعد على قيام هذه الثورة هو بقاء التقاليد الفرعونية في وادي النيل جنوبي مصر، لأن الإغريق لم يخضعوا كل دولة الفراعنة القدماء لحكمهم، وبخاصة مصر العليا، ولم يستطع البطالمة القضاء على هذه الثورة إلا عام (184 – 183 ق.م) عندما وقعت سايس في قبضة بطليموس الخامس (205 – 180 ق.م)، وعندما يئس زعماء الثورة من نجاح محاولتهم سلموا أنفسهم بعد أن أمنهم الملك على حياتهم، غير أنه غدر بهم و إعدامهم (Bevan.Edwyn, 1927, p. 239).

ومن الواضح أن سبب عدم مشاركة بعض رجال الدين كما يشير إلى ذلك بعض المؤرخين، يرجع إلى المنح التي جاد بها بطليموس الرابع عليهم، وخاصة كهنة الوجه البحري الذين يبدو أنهم لم يكونوا على توافق مع كهنة طيبة، الذين احتضنوا الثورة والثوار، بالإضافة إلى ذلك فإن بطليموس الرابع توج نفسه على الطريقة الفرعونية، واستخدم الألقاب الفرعونية حتى في النصوص الإغريقية، واهتم بشؤون الديانة المصرية، وعمل على دمج المصريين في الجيش البطلمي، وهذا كله من أجل إرضاء المصريين وتهدئة ثورتهم (Bevan.Edwyn, 1927, p. 391).

ويذهب سليم حسن إلى القول بأن المؤرخ بوليبيوس المعاصر لهذه الثورات ذكر بأن حركة عدائية قامت ضد الإغريق المستعمرين، ترتبت على التغيير الذي طرأ على توازن القوى بين الإغريق والمصريين عقب انتصارهم في موقعة رفح، والواقع أن ما عبر عنه بوليبيوس بقوله "المستعمرين" يقابله طموح المصريين في الحرية والاستقلال (حسن، 2000، صفحة 655).

وفي المقابل نجد الآنسة بريو تخالف بوليبيوس رأيه هذا بقولها أن الثورة لم تكن قومية وإلا لو كان الأمر كذلك لأسهم فيها رجال الدين جميعا، وترجع أسباب الثورة إلى المشاكل الاقتصادية و الاجتماعية التي كان يعيشها المواطن المصري آنذاك، ففي عهد بطليموس السادس (180 – 164 ق.م) عرفت مصر حالة من الاضطراب، بسبب الصراع الذي عرفه القصر الملكي،

بينه وبين أخيه الأصغر بطليموس الثامن (171 – 163 ق.م)، وهنا ظهر زعيم مصري يدعى "ديونوسيوس بتو سرابيس" و كان يتمتع بشعبية كبيرة في أوساط المصريين (مصطفى العبادي، 1981: 119) ،حيث استغل النزاع لتحقيق آمال المصريين، فعمل على استغلال فترة الصراع بين الأخوين، والتف حوله الجنود المصريون، غير أنه انهزم أمام قوات بطليموس السادس (Préaux, 1939, p. 528)، غير أن ذلك لم يجتث جذور الثورة، ولم يضع حدا للاضطرابات في مصر، وفور استرداد بطليموس السادس عرشه عام 163 ق.م حتى أعلن عفوا شمل كل الذين كانوا مختبئين أو متهمين باشتراكهم في الثورة، وعلى الرغم من ذلك فإن الهدوء والأمن لم يستتبا في البلاد، وقد تسببت الثورات القومية في تدهور حالة البلاد الاقتصادية (حسين ع.، 1991، صفحة 311).

وفي عام (132 . 131 ق.م) تصدع البيت المالك و احتدم الصراع على الحكم بين كليوبترا الثانية و ابنها بطليموس السادس من جهة، وبطليموس الثامن من جهة أخرى، وانقسم الناس إلى فريقين، فريق يؤيد كليوبترا الثانية و ابنها وهم مواطنو الإسكندرية واليهود وجزء من الجيش، في حين وقف الباقون مع بطليموس الثامن، واندلعت ثورة أصبحت مزيجا من الحرب الأهلية، وأخذت ثورة المصريين في الوجه البحري ومصر السفلى، شكل الإضراب العام عن العمل، بينما احتدم الصراع في المدن والقرى في مصر العليا وتدل الوثائق التاريخية على أن بطليموس الثامن انتهج العنف والسياسة في آن واحد لإنهاء الثورة والعصيان فأصدر سلسلة من قرارات العفو عام 118 ق.م لعلاج أسباب الثورة وإخمادها (حسين ع.، 1991، صفحة 314).

ولم تؤد المحاولات التي بذلها بطليموس الثامن لتهدئة النفوس، إلى استتاب الأمن والطمأنينة في البلاد، فعقب وفاته عام 116 ق.م نشب الصراع من جديد على السلطة بين كليوبترا الثانية وكليوبترا الثالثة حتى وفاة الأخيرة عام 116 ق.م، ثم بين كليوبترا الثانية و ابنها الأكبر بطليموس التاسع (116 – 110 ق.م).وهي التي أرغمها الإسكندريون على إشراكه معها في الحكم بدلا من ابنها المفضل لديها وهو بطليموس إسكندر (Rostovtzeff.M, 1941, p. 899)، واندلعت الثورة من جديد في عهد بطليموس التاسع حيث كانت طيبة محورها دائما لذا فإن بطليموس التاسع رأى بأن الطريقة المثلى للقضاء على الثورة هو تخريب مدينة طيبة تخريبا تاما، لكونها مركز الثورات وذلك بعد ثلاث سنوات من الحرب بين الطرفين، غير أن تخريب مدينة طيبة لم يؤد الهدف المرجو وهو القضاء على ثورات المصريين كلية، فعلى الرغم من أن تخريبها قلل من الثورة إلا أنه لم يقض على الثورات نهائيا، حيث تجددت الاضطرابات في فترة البطالمة الأواخر في عام (79. 78 ق.م) وكذا في عام (64- 63 ق.م) وأخيرا عام 58 ق.م (نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، 1984، صفحة 224).

ومجمل القول فإن ثورات المصريين ضد البطالمة وسياستهم منيت بالفشل بسبب عاملين رئيسيين: أولهما: بالرغم من كثرة عدد الثوار، فإنهم كانوا يفتقرون إلى ما كانت تمتاز به دولة

البطالمة من النظام والعتاد والأموال، وثانيهما: عدم اتحاد المصريين في مناهضة البطالمة، فمنذ بداية الثورة وقف فريق من الكهنة موقف المتخاذل، وكذلك فريق من الأهالي، ولاسيما أتباع الكهنة الذين سالموا البطالمة مذعنين للظروف القاهرة، وبدوافع الخلافات الوراثية بين كهنة الآلهة المختلفة، ويبدو أن البطالمة انتهجوا سياسة تنطوي على إشاعة الفرقة بين صفوف المواطنين، باستغلال الخلافات المحلية، وإرضاء الأطماع الشخصية لإضعاف الحركات القومية تيسيرا للقضاء عليها.

03 . اليهود:

لقد كان اليهود من أهم العناصر الأجنبية التي وجدت بمصر اليونانية، حيث كانوا يحتلون المرتبة الثالثة في الأهمية بعد الإغريق والمصريين، ويرجع وجودهم في مصر إلى ما قبل الغزو الفارسي والمقدوني بزمن بعيد، إذ وجدت لهم جاليات في بعض مدن الوجهين القبلي والبحري، (محمد عواد حسين، 1947: 184).

ومنذ أن فتح الإسكندر الأكبر مصر، تقاطر اليهود إليها في أعداد كبيرة، ومن المعروف أنهم نزلوا بجميع أنحاء مصر المختلفة، وأن أكثرهم كان يتمركز بالإسكندرية في الحي الرابع من هذه المدينة، وقد انتشروا فيما بعد حتى شغلوا الجانب الأكبر من حي آخر، فضلا عن انتشارهم في أحياء أخرى من أحياء المدينة، إلا أنهم كانوا يفضلون العيش متكتلين بالقرب من بعضهم البعض، كما يفعلون اليوم في المدن التي ينزلون بها (Bevan.Edwyn, 1927, p. 113).

وقد تعددت أنشطة اليهود بمصر، حيث شملت العديد من مختلف الحرف والمهن الزراعية وتربية الماشية، وإدارة المصارف المالية، كما أن البعض منهم عمل ببعض الأعمال والمناصب في الحكومة، وانخرطوا في سلك الضباط والقادة، وعندما ازداد عددهم في الإسكندرية وأصبحوا يتمتعون ببعض الحقوق التي كان يتمتع بها المواطنون الأحرار، ويبدو أنه كان بين اليهود طبقتان، إحداهما عليا والأخرى دنيا، وفي أواخر عصر البطالمة تشكل بينهم مجلس يعرف باسم الجروسيا، يبلغ عدد أعضائه واحدا وسبعين عضوا (علي، الإسكندرية في عهد البطالمة والرومان، 1948، صفحة 40).

ونظرا لتمسك اليهود الشديد بدينهم، فقد منحهم الملوك البطالمة حق ممارسة شعائرهم الدينية في حرية واستقلال، وقد بنوا فعلا كثيرا من أماكن العبادة الخاصة بهم، وتعرف باسم سيناجوج (ومعناها اللغوي جامع) (العبادي، العصر الهلينستي، 1981، صفحة 113)، والملاحظ أن اليهود سرعان ما تركوا اللغة الآرامية واتخذوا اللغة اليونانية بدلا منها، وكان أكبر مظهر لهذا التغيير هو ترجمة التوراة إلى اللغة اليونانية، حيث تمت في مصر في ذلك العصر، وتسمى عادة بالترجمة السبعينية(حسين ع.، 1991، الصفحات 115- 116).

و من الواضح أن كثيرا من اليهود قد تأغرقوا، تماما وأصبحت اليونانية هي لغتهم الوحيدة، وبهذا أضحت المراسيم الدينية اليهودية تؤدى باللغة اليونانية، وبالتدريج أخذ اليهود في مصر يفقدون خصائصهم المميزة لهم عن الإغريق، فاتخذوا الزي اليوناني، وتسموا بأسماء إغريقية، وتحدثوا اللغة اليونانية، ولما كان بطليموس الثاني يعطف عليهم فإنهم أوعزوا إليه بترجمة كتبهم المقدسة، ويحتمل أن الترجمة بدأت في عهد الملك بطليموس الثاني غير أنها استغرقت أمدا طويلا (Bevan.Edwyn, 1927, p. 113).

وبمرور الزمن أصبح لليهود شأن في الحياة السياسية والاجتماعية بمصر، حتى إنهم منحوا الحق في ألا يحاكموا إلا أمام قضاتهم، ووفقا لقوانين آباءهم (على ما جاء به نبيهم موسى)، ويبدو أن ذلك كان مقتصرا فقط على مسائل الأحوال الشخصية، أما في حالة وقوع نزاع مدني أو جنائي بين طرفين سواء أكانا يهوديين، أم كان أحدهما يهوديا والآخر غير يهودي، فإن المحاكم العامة العادية هي التي كانت صاحبة الاختصاص للفصل في مثل هذه المنازعات، حتى أنهم تساووا في الحقوق مع المقدونيين (حسين ع.، 1991، صفحة 276).

ويذهب نصحي للقول بأن جلَّ معلوماتنا عن اليهود في عصر البطالمة مأخوذة مما كتبه المؤرخ اليهودي يوسف (جوزيفيوس) ،الذي قال بأن الإسكندر منح لليهود حقوقا متساوية مع الإغريق، وأن البطالمة هم الذين خصصوا لليهود حيا في الإسكندرية، وسمحوا لهم باتخاذ لقب مقدونيين، و هنا يذهب نصحي إلى القول بأن جميع القرائن تشير إلى عدم تمتع يهود الإسكندرية بالحقوق المدنية كاملة، لكنه لا يستبعد أن يكون نفر قليل منهم استطاع اكتساب حقوق المواطنة بصفة شخصية، كما أنه لا يجوز أن نفهم من كلام يوسف أكثر من السماح ليهود الإسكندرية بالإقامة فيها في حي خاص، وتكوين جالية قومية لهم على نحو ما فعل الإغريق والرومان (نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، 1984، الصفحات 157- 158).

وتدلنا الشواهد إلى أن البطالمة الأوائل قد أظهروا كثيرا من العطف نحو اليهود، فقد قام بطليموس الأول بإحضار عدد كبير منهم وأسكنهم في مصر، كما أن بطليموس الثاني أكلأهم برعايته، وذهب بطليموس الثالث إلى حد منح أحد هياكل اليهود حق حماية اللاجئين، هذا بخلاف سياسة بطليموس الرابع العدائية لليهود، فالكتاب الثاني من تاريخ المكابين يلقي كثيرا من الأضواء على تلك السياسة العدائية، بسبب رفض اليهود الامتثال لرغبة بطليموس الرابع في عبادة ديونيسوس و الارتداد عن دينهم، وأن بطليموس الرابع أمر بإعدامهم في الإسكندرية (Bevan.Edwyn, 1927, pp. 229- 230).

وفي عهد بطليموس السادس التجأ إلى مصر يهود فلسطين الناقمون على أسرة سلوقس، وكان على رأسهم أونياس الرابع، وهو الذي كان كبير كهنة بيت المقدس ويبدو أنه قد رافق أونياس عدد كبير من أتباعه، فمنحهم بطليموس السادس قطعة من الأرض على فرع النيل الشرقي في

المديرية العربية . عرفت فيما بعد بإقليم أونياس . حوالي 160 ق.م، وسمح لأونياس بأن يبني على مكان معبد مصري قديم في ليونتوبوليس معبدا يهوديا، على نمط بيت المقدس، وقد خصص بطليموس السادس إيرادات عين شمس للإنفاق على هذا الهيكل وكان هذا الهيكل (Mahaffy, 1895, p. 353)، ويعتبر هذا العطف على اليهود نقطة تحول هامة، لا في تاريخ اليهود فحسب، بل في تاريخ مصر أيضا، إذ أنه منذ ذلك الوقت بدأت تظهر الرسائل التي تهاجم اليهود، والرسائل اليهودية التي تهاجم الإغريق، وملأت تلك الرسائل العصر الهيلينستي بالأكاذيب، وهبطت بمستوى آداب القرن الثاني قبل الميلاد إلى الحضيض (Mahaffy, 1895, p. 357).

أما عن وضع اليهود في عهد بطليموس الثامن فقد كانت على أسوأ مما كانت عليه في عهد سابقيه، حيث كان يكن حقدا دفينا لهم بسبب مساعدتهم لأخيه بطليموس السادس وأخته كليوبترا الثانية ضده، ففي عهد هذا الملك نشطت الرسائل المعادية لليهود والمناصرة لهم في آن واحد، إذ يبدو أن تأييد اليهود لبطليموس السادس في حياته، ثم لابنه وزوجته بعد مماته، أثار حفيظة رجال بطليموس الثامن فصمموا على التصدي لهم و انهاء وجودهم (Mahaffy, 1895, p. 390).

وليس في مصادرنا ما يشير إلى أن اليهود لقوا أي اضطهاد في عهد البطالمة الذين تبوؤوا عرش مصر بعد بطليموس الثامن لكن يبدو أن العداء بين الإغريق واليهود استمر متأججا حتى نهاية حكم أسرة البطالمة، غير أن هذا العداء الذي كانت دوافعه سياسية قبل كل شيء، لم يتجاوز السجال الكلامي إلا في العصر الروماني (نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، 1984، صفحة 166).

ويمكننا أن نستخلص مما مر ذكره أن سياسة البطالمة إزاء اليهود بوجه عام، كانت تقوم على أساس التسامح الديني، وهو الذي قامت عليه سياستهم إزاء المصريين والإغريق، ولا أدل على ذلك من كثرة عدد يهود مصر في العصر الروماني، والذي بلغ نحو مليون فرد، في وقت وصل فيه تعداد سكان مصر إلى سبعة ملايين ونصف مليون شخص (Bevan.Edwyn, 1927, p. 311)، غير أن ما نلحظه في الدراسات الإنسانية حول تاريخ اليهود هو طغيان الأسطورة والخرافة والأكاذيب، وهذا ما لاحظناه في فترة البطالمة حيث كان اعتماد المؤرخين على كتابات المؤرخ يوسف، وهو الذي كان يرمي من وراء كتاباته إلى إثبات قدم وجود اليهود بمصر، دون أن يعير الحقائق التاريخية أية أهمية تذكر.

04 . عناصر أخرى:

مما لا شك فيه أنه كانت توجد بمصر عناصر أخرى من أجناس مختلفة، تتمثل في خليط من الفرس والتراقيين والفروجيين والسوريين والفنيقيين والقاريين والبابليين والهنود والأعراب، على أن الفرس كانوا يشكلون عنصرا هاما من العناصر الأجنبية بعد الإغريق واليهود، فقد كان

هناك عدد كبير من الفرس يعيشون في الإسكندرية، ويؤلفون طبقة خاصة بهم من سكان العاصمة، تتمتع ببعض الامتيازات، وكان كثير منهم أيضا يعيشون في منطقة طيبة، حيث كانوا يشكلون حامية لإخضاع الأهالي المتمردين والمعادين للبطالمة، كما وجدت جاليات للفرس في كل من طحنا بمديرية هرموبوليس (الأشمونيين)، وفي منف والفيوم، أما عن الأعمال التي مارسها الفرس في مصر اليونانية، فقد اشتغل البعض منهم بفلاحة الأرض في شكل أرباب إقطاعات، أو كمستأجرين، وتطلعنا كثير من الوثائق إلى أن عددا كبيرا منهم اشتغل في الجيش بالجندية (حسين ع.، 1991، صفحة 284).

ومن المحتمل أنه كانت توجد جالية للفرس في عهد البطالمة، وباندماج أشخاص من جنسيات أخرى فيها كثر عدد الفرس، وهذا ما تحدثنا به الوثائق، وإن كان الرأي الشائع بين كثير من المؤرخين، أن ازدياد عدد الفرس يرجع إلى أن كثيرا من المدنيين كانوا ينتحلون صفة السلالة الفارسية لتأمين دائنيهم (Bevan.Edwyn, 1927, p. 311)، لكن ونحن نعلم أن البطالمة كانوا يفرضون عقوبات مشددة على الانتقال من جنسية إلى أخرى دون الحصول على إذن من الملك، لا يمكن أن نسلم أنه كان يمكن انتحال الجنسية الفارسية دون أن يكون لذلك سند قانوني، ودون أن يتم اكتسابها عن طريق الجماعات القومية الفارسية، ومهما تكن الآراء التي ذهب إليها المؤرخون المختلفون في تفسير كثرة عدد الفرس، فلا شك أن الفرس كانوا يتمتعون في مصر اليونانية بالحرية الدينية، وحسبنا دليل على ذلك ما تحدثنا به الوثائق عن وجود معبد للإله ميثراس بالفيوم في القرن الثالث قبل الميلاد (حسين ع.، 1991، صفحة 286).

بالإضافة إلى العناصر التي سبق ذكرها، فقد وجد نصب في فيلادلفيا بالفيوم يرجع إلى عهد بطليموس الرابع يحمل إهداء إلى الإله التراقي هيرون، كما وجد نقش لنفس الإله يرجع إلى عهد بطليموس الثامن في نفس القرية، وهو يشير إلى وجود معبد للإله التراقي، أقامه التراقيون الذين وفدوا على مصر إبان العصر البطلمي، كما وجد معبد للآلهة أجديستيس آلهة القريجيين أقاموه فور حضورهم إلى مصر، وأن الفنيقيين كانوا يقيمون طقوس إلههم أدونيس، مما يبين استقرار تلك العناصر بمصر وممارستهم لشعائرهم الدينية الخاصة بهم (العبادي، العصر الهلينستي، 1981، صفحة 07).

كما قدم إلى مصر بعض الأعراب الرحل في الصحراء الشرقية، كانوا ينزحون في مجموعات صغيرة إلى وادي النيل، ومن ثم فقد وجدت قرى متناثرة في مصر، كان سكانها يتألفون من الأعراب الذين استبدلوا بحياتهم الصحراوية، حياة الاستقرار وممارسة النشاط الزراعي، ومثل ذلك قرية بويس في مديرية منف، وقد وجد في القرن الثالث قبل الميلاد بالفيوم أعراب يشتغلون برعي الماشية في ضيعة أبولونيوس وزير المالية، والملفت للانتباه أن هؤلاء الأعراب يحملون أسماء إغريقية ومصرية (Bevan.Edwyn, 1927, p. 312).

05 . محاولة التقريب بين الإغريق والمصريين (عبادة الثالوث المقدس):

لقد فكر بطليموس الأول في بعث ديانة جديدة يشترك في التعبد إلى آلهتها المصريون والإغريق، على النحو الذي درج عليه كل فريق منهم (Feaser, 1984, p. 246)، ولما كانت العبادات الكبرى قد أهملت في مصر في عصور التدهور التي سادت منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد، واستبدلت الأرباب الكبرى بالآلهة الصغرى المحلية التي كان معظمها في شكل الحيوانات المقدسة، فإن بطليموس الأول تزعم حركة إعادة بعث عبادة أوزيريس وإيزيس وحوروس في قالب جديد، وبصورة وملامح إغريقية تتناسب مع الوضع الجديد، و كان تركيزه على أوزيريس لعلمه بمكانته، فقد كان أوزيريس هو الرب المحبوب للمصريين، لأنه يرتبط بالفيـضان وبالزراعة، وهو زوج إيزيس المحبوبة التي ترمز إلى الأرض الطيبة، وهو والد حوروس الذي يحمي الملوك ويرعاهم (الناصري، 2001، صفحة 136)

وبعد المشاورات التي أجراها بطليموس الأول مع عدد من علماء الدين المصريين والإغريق، والذين كان أبرزهم الكاهن المصري مانيتون والكاهن الإغريقي تيموثيوس، استقر الرأي على أن يكون محور الديانة الجديدة متكونا من ثلاثة آلهة، قدمت للمصريين في ثوبها المصري، وللإغريق في ثوبها الإغريقي، وقد شمل هذا الثالوث كلا من:" سرابيس وإيزيس وحاربوقراتيس" حيث كان الإلهين الأخيرين مصريين، ومن ثم فقد أحس الإغريق بغرابة هذا الإله الجديد (حسين ع.، 1991، الصفحات 77- 78).

وكان من الممكن إقناع الإغريق بأن إلههم ديونيسوس زاجوري، لم يكن إلا صورة لأوزيريس، الذي كان يدعى أوسارحابي، ويدعوه الإغريق سارابيس، وظل الأصل الذي اشتقت منه هذه العبادة محل نقاش وخلاف كبيرين، وقد وردت في كتابات المؤلفين القدامى أن بطليموس الأول هو الذي أحضر التمثال الذي كان رمز هذه العبادة من سينوبي، أو من مكان آخر بآسيا، وقد بذلت محاولة أخرى للتعرف على سرابيس على أنه هو ذات الإله البابلي شار. أبي.، و لكن بعد أن عكف قلكن لبحث هذا الموضوع بحثا وافيا، توخى فيه الدقة، يبدو أنه لم يعد هناك أدنى شك في أن ذلك الإله الجديد، إن هو في الحقيقة إلا صورة من أوسور آبيس المصري، وقد اصطبغ بصبغة هليلينية (بل، 1988، صفحة 58).

وهكذا نجد إلها مصريا تكتنفه هالة من الأسرار الغامضة التي اكتنفت الديانة المصرية منذ العصور القديمة حتى ذلك الوقت نجده يصور في شكل آدمي لرب الأرباب عند الإغريق، فأية قبلة خير من هذه يمكن أن يتوجه إليها الإغريق والمصريون معا؟ لكن إذا كان هذا هو هدف بطليموس الأول فعلا فقد فشل في تحقيقه، وذلك لأن استعداد الإغريق لقبول العبادات المصرية كان أمرا كافيا لجعل رابطة كهذه التي أرادها بطليموس الأول غير ضرورية (إسماعيل، 1999، صفحة 65)، فقد درج الإغريق منذ عهد هيرودوت على تشبيه الآلهة الإغريقية بالآلهة المصرية، وتمدنا المراجع

القديمة بأمثلة متعددة لذلك، بعضها من القرن الثالث قبل الميلاد، مثل الإهداء الذي قدمته حامية الضباط الإغريق في إقليم الشلال، وشبهت في هذا الإهداء عددا من الآلهة المصرية (نصحي، دراسات في تاريخ مصرفي عهد البطالمة، 1959، صفحة 209).

وعلى الرغم من أن هذا الإله الجديد أصبح الإله الرسمي لإمبراطورية البطالمة، وأصبح مركز عبادته مدينة الإسكندرية، حتى أنه بني له حرم مقدس، وفي هذا الهيكل أمر بطليموس الأول ببناء تمثال ضخم للإله سرابيس (علي، الإسكندرية في عهد البطالمة والرومان، 1948، صفحة 10)، إلا أنه لم يجتذب إليه إلا قليلا من المصريين خارج مدينة الاسكندرية، ولم يكن وضعه بأفضل من ذلك بكثير، في نظر الغالبية العظمى من المستوطنين الإغريق، وعليه لم يعبد الإغريق والمصريون نفس الثالوث (يحيى، 2004، صفحة 119)، فقد عبد المصريون الآلهة الجديدة في شكلها المصري، وباعتبارها في عداد الآلهة التقليدية التي استمروا يتعبدون إليها، وعبد الإغريق آلهة الديانة الجديدة في ثوب إغريقي، وباعتبارها نظائر لآلهتهم (نصحي، دراسات في تاريخ مصرفي عهد البطالمة، 1959، صفحة 211).

ومن الواضح أنه كان لبطليموس الأول أهداف أبعد من ابتداع الديانة الجديدة، فبصرف النظر عن هدفه المتمثل في جمع الإغريق والمصريين على عبادة وديانة واحدة ،تحقق له هدف استقرار البلاد، لعله ابتدع هذا الإله وهو يستهدف أغراضا خارجية أكثر منها محلية، ولعله قصد أن يصبح سرابيس راعيا لإمبراطورية البطالمة، يضفي عليها مزيدا من المهابة بانضمامه كإله مصري، إلى مجموعة الآلهة الدولية في العالم الهلنستي، ولئن صح ذلك فقد وفق بطليموس الأول في تحقيق هذا الهدف (إسماعيل، 1999، صفحة 66)، ومما يؤكد صحة اعتقادنا هذا، هو انتشار هذه العبادة خارج مصر بشكل ظاهر، خاصة في العالم المتأغرق، ولم يكن هذا الانتشار سطحيا بحيث يصبح سرابيس إلها جديدا يضاف إلى قائمة آلهتهم في عصر درج على تعدد الآلهة، وإنما كان له جذور عميقة تشبث بها الوثنيون لاستبقائها، حين بدأت المسيحية تغزوا آفاق الحوض الشرقي للمتوسط (يحيى، 2004، صفحة 119).

وهناك جانب آخر لا يمكن أن نغفله، وقد اتخذه البطالمة وسيلة للتقريب بين العنصرين المصري والإغريقي، ويتمثل في التشريعات والقوانين، فالمعروف أنه كان لمصر قوانينها وعاداتها التي ترجع إلى عهود بعيدة، ولذا فإن البطالمة رأوا من الحكمة أن يتجنبوا قدر الإمكان المساس بما ألفه المصريون من العادات والقوانين، بل أخذوا على عاتقهم تدوينها ونشرها، وفي نفس الوقت سنوا من القوانين ما يتفق وأفكار الإغريق، وذلك من أجل تنظيم العلاقات بين هؤلاء النزلاء أجانب (Bevan.Edwyn, 1927, p. 312)، وقد كانت تطبق على المصريين قوانينهم التقليدية، وعلى الإغريق قوانين إغريقية، ولما كان الملك مصدر كافة السلطات والدساتير، فإنه أدخل بعض التعديلات على نصوص قوانين كل من المصريين والإغريق، ولذلك فإن ما نلمسه من التأثيرات الإغريقية في القانون

المصري، والتأثيرات المصرية في القانون الإغريقي، يجب أن لا يعتبر صدى لظواهر حضارية نجمت عن تأثر المجتمعين بعضهما البعض، وإنما اعتبارها نتيجة لرغبة الملك في سد فجوات في التشريعات القائمة، أو نشر الهدوء والسكينة في البلاد، بعدم تطبيق أحكام مختلفة على حالات متشابهة (نصحي، دراسات في تاريخ مصرفي عهد البطالمة، 1959، صفحة 212)

- **خاتمة:**

وخلاصة القول أن الأوضاع الاجتماعية في مصر اليونانية، تميزت بما يلي

- بوجود طبقتين منفصلتين تمام الانفصال عن بعضهما البعض. طبقة عليا مكونة من الإغريق الذين يعتبرون أنفسهم سادة البلاد، وأصحاب حضارة، لهم أحياء خاصة ومعاملات خاصة بهم أيضا، وطبقة دنيا تتمثل في المصريين الذين كانوا مضطهدين من قبل المتسلطين الأجانب، ويشعرون بأنهم ظلموا وسلبوا خيرات بلادهم.
- احتفاظ المصريين بعاداتهم وتقاليدهم، رغم سياسة الاندماج التي انتهجها الأغريق للعناصر السكانية التي كانت تحت حكمهم.
- لقد ارتكب الحكام البطالمة خطأ كبيرا في حق الإنسان المصري، فعلى الرغم من علمهم بأنه صاحب حضارة عتيدة، وأنه غير قابل للرضوخ تحت أي سلطة أجنبية كانت، وعلى الرغم من أن الملوك الثلاثة الأوائل قد أحسنوا معاملته، فإن البطالمة الأواخر قد بالغوا في إذلاله وقهره
- لقد كان اعتماد الملوك البطالمة على العنصر الإغريقي وإعطاءه امتيازات كبيرة، كالمناصب العليا في الإدارة والجيش والضياع الواسعة والمدن الخاصة.
- بالرغم من محاولات الأغرقة التي ميزت سياسة البطالمة إلا أنهم وجدوا أنفسهم عاجزين عن ذلك أمام ثقة المصريين واعتزازهم بكرامتهم واستمساكهم بتقاليدهم، وبدل أن يجبرهم أسلوب القهر والقوة في صدهم عن معتقداتهم، فإنه كان يدفعهم إلى التعصب لها و الاستمساك بها والاستماتة في الدفاع عنها.
- لقد وجد البطالمة أنفسهم أمام فريقين لكل منهما نظام خاص للحكم، فالإغريق نشأوا في مدن اعتادوا على الاشتراك في حكمها، والمصريون نشأوا في دولة ملكية مطلقة تقوم على أساس حق الملوك الإلهي، وكان التوفيق بين هذين النقيضين مهمة صعبة للغاية.
- و عليه فإنه من غير المنطقي تصور حدوث اندماج اجتماعي كبير بين هاتين الطبقتين في ظل الظروف الآنف ذكرها، خصوصا إذا علمنا طبيعة حكم البطالمة والذين كانت تهيمن عليهم نزعة الحفاظ على ملكهم بأي طريقة كانت.، مستلهمين أسلوب سيطرتهم . على الرعايا والجاليات المقيمة تحت مظلتهم من حق الملوك الإلهي، وإذا كان بطليموس

الأول قد اتبع سياسة تستهدف جمع شمل الإغريق والمصريين طيلة فترة حكمه، فإن الحكام البطالمة من بعده وقد اعتبروا أنفسهم حماة الحضارة الإغريقية، لم يستهدفوا إطلاقا تحقيق تمازج بين المصريين والإغريق، خشية تلاشى العنصر الإغريقي، لأنهم كانوا أ قلية بالنسبة للمصريين الذين يشكلون غالبية عظمى، وذلك لأن نظام حكمهم اعتمد أساسا على المساهمة الفعالة للعنصر الإغريقي، بدرجات متفاوتة خلال فترة حكمهم، ولم ينتهج البطالمة الأواخر سياسة مهادنة المصريين إلا مضطرين نتيجة ثورات أهالي البلاد الذين ضاقوا ذرعا بالوجود الأجنبي وسيطرته.

قائمة المراجع:

أولا: المراجع باللغة العربية:

1. إبراهيم نصحي. (1959). *دراسات في تاريخ مصرفي عهد البطالمة*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية .
2. إبراهيم نصحي. (1959). *دراسات في تاريخ مصرفي عهد البطالمة*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
3. إبراهيم نصحي. (1984). *تاريخ مصرفي عصر البطالمة*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
4. أبو اليسر فرح. (2004). *النيل في المصادر الإغريقية*. القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
5. حسين الشيخ. (2005). *العصر الهلينستي (مصر)*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
6. زكي علي. (1948). *الإسكندرية في عهد البطالمة والرومان*. الإسكندرية: مطبعة دار المستقبل.
7. زكي علي. (1980). *مصر البطلمية*. الأسكندرية: مكتبة الإسكندرية.
8. سعيد إسماعيل على. (1996). *التربية في الحضارة المصرية القديمة*. القاهرة: عالم الكتب.
9. سليم حسن. (2000). *موسوعة مصر القديمة*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
10. سيد أحمد علي الناصري. (2001). *تاريخ وحضارة الشرق الأدنى في العصر الهلينستي*. القاهرة: دار النهضة العربية.
11. شحاتة محمد إسماعيل. (1999). *مصر في عصري البطالمة والرومان*. القاهرة: دار الكتاب الجامعي.
12. شريف الصبان و سعيد عبد الحفيظ. (1999). *المجتمع المصري عبر العصور*. القاهرة: الزعيم للطباعة.
13. عاصم أحمد حسين. (1991). *دراسات في تاريخ وحضارة البطالمة*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
14. فادية محمد أبوبكر. (1997). *دراسات في تاريخ مصر (العصر البطلمي)*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

15. لطفي عبد الوهاب يحي. (2004). *التاريخ اليوناني الروماني*. القاهرة: شركة مطابع المدينة.
16. محمد عواد حسين. (1947). *شؤون مصر الداخلية وسياستها الخارجية على عهد إيوارجتيس الثاني*. القاهرة: جامعة الملك فؤاد الأول.
17. مصطفى العبادي. (1981). *العصر الهلينستي*. بيروت: دار النهضة العربية.
18. مصطفى العبادي. (1985). *مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
19. هـ .آدريس بل. (1988). *مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي"دراسة في إنتشار الحضارة الهلينية واضمحلالها*. بيروت: دار النهضة العربية.
20. و.و.تارن. (1966). *الحضارة الهلنستية*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية:

21. Bevan.Edwyn. (1927). *A History of Egypt Under the Ptolemaic Dynasty*. London: Oxford.
22. Bowman, a. (1983). *Egypt after the pharaohs*. London.
23. Collartr.p. (1936). À l'école avec les petits Grecs d'Égypte. *Chronique d'Égypte*, pp. 489- 507.
24. Feaser, P. (1984). *Ptolmaic Alxandria*. Oxford: Oxford.
25. Mahaffy. (1895). *The Empire of the Ptolmies*. London.
26. Préaux. (1939). *L'économie royale des Lagides*. Bruxelles: Fondation Égyptologique Reine Élisabeth.
27. Rostovtzeff.M. (1941). *The Social and Economic History of the Hellenistic World*. Oxford: Oxford.